

رئيس التحرير المسؤول
العهد منير عقيقي

المسكوت عنه في الحديث عن الإستقلال

اقرار وثيقة الوفاق الوطني التي ادخلت لبنان مرحلة السلم الاهلي، الذي ظل باردا بين مكوناته في ظل حديث مستمر عن هواجس طائفية متبادلة. لم يجلب الانسحاب الاسرائيلي، من دون قيد او شرط من جنوب لبنان في 25 ايار عام 2000 تحت ضغط المقاومة، الاستقرار الى البلاد التي ظلت تتنازعها الصراعات والانقسامات الخارجية. توترت العلاقات السعودية - السورية. اغتيل رئيس الحكومة رفيق الحريري عام 2005 فانسحبت القوات السورية من لبنان وانقسم اللبنانيون مجددا الى فريقين متنازعين، فريق 8 آذار في مقابل فريق 14 آذار، وكل فريق كان يحظى بدعم خارجي اقليمي ودولي. وعلى وقع هذا التناقض الحاد، دخلت اسرائيل مجددا على خط الصراع في تموز من العام 2006، فشنت حربا مدمرة انتهت بعد نحو شهر باخفاق عسكري وسياسي، ولكنها بلا شك انهكت كل لبنان.

بعد هذه الحرب توالى تواريخ اهلية جديدة عكست غلبة "طائفية" من هنا واخرى من هناك، وراح ميزان القوى الداخلي يتأرجح فصارت الاحجام والاوزان الحاكم والفيصل في البلد وبين اهله وجماعته المتعددة الالهواء. ما جعل لبنان على الدوام دولة "هشة" غير مؤهلة لاستقلالية القرار وحرية. وبالاسف، لا تزال مسرحا لصراعات القوى الخارجية وساحة طيعة لتصفية حساباتها على ارضه، وتغرق البلاد في اسوأ أزمة اقتصادية لم يشهد مثلها اللبنانيون حتى في حمأة الحروب.

اليوم، عشية الاستقلال الثامن والسبعين، يتجدد الصراع الداخلي في موازاة استحقاقات اقليمية ودولية لا احد يعرف الى مَ ستفضي اليه هذه التغيرات، وسط خوف لدى اللبنانيين ان وطنهم الذي عرفوه قد لا يعود.

الاستقلال كلمة فضفاضة لا تنطبق على بلد كلبان، والذي منذ نشأته لم يستطع ان يكون موحدا في القرارات والتوجهات، لا طائفا ولا مذهبيا ولا مجتمعيا، وبقي دائم الارتهان الى الخارج مع تعدد الولاءات في الداخل. منذ "استقلاله"، يعاني لبنان من تداعيات صراعات اقليمية ودولية، ارتبط بها بشكل مباشر وعلني ما جعل من هذا الاستقلال مجرد شعار للاستهلاك، ومناسبة للاحتفال به في 22 من تشرين الثاني من كل عام. ويمكن الجزم بان الاستقلال كلمة لم تلامس الواقع يوما، وان استقرار البلاد بقي هشا ومعدما، دائم الارتباط بالصراعات الاقليمية والنزاعات الدولية.

تشير العودة الى التاريخ الى ان ما سمي استقلالا عن فرنسا في العام 1943 لم يكن سوى تاريخ كان بداية لسلسلة طويلة من الانقسامات المذهبية والطائفية والسياسية المستمرة حتى يومنا هذا، ناهيك باحتلالات متعاقبة.

قلما شهد البلد استقرارا سياسيا بالمعنى الفعلي، اتاح له تشكيل هوية وطنية جامعة بدلا من الولاءات الطائفية والمذهبية. اولى الازمات الخطيرة اطلت في عام 1958 على اثر التجاذب السياسي في مقاربة حلف بغداد والتقرب منه او مواجهته، وما نتج من الانقسام الداخلي وربطه بالخارج، من توترات كبيرة ادت الى اندلاع ثورة كادت تشعل حربا اهلية. اما الازمة الكبرى فكانت العام 1969 عندما دخل العامل الفلسطيني الى لبنان وانقسم اللبنانيون حوله، فتم توقيع اتفاق القاهرة بعد نزوح الفدائيين الفلسطينيين إلى لبنان من الاردن، حتى جاء عام 1971 ليتوج بداية ترتيب الارضية والتحضير للحرب الاهلية.

في 13 نيسان 1975 اندلعت الشرارة الاولى للاحداث، ولم يطل الامر حتى دخلت قوى اقليمية على خط الحرب التي سميت لاحقا "حروب بالوكالة" او "حرب الآخرين على ارضنا". وكأن اللبنانيين لم يتورطوا فيها، فتقاتلوا وقتلوا وقتلوا. هكذا صار لبنان سلسلة من تواريخ الحرب الاهلية، والاحتلالات والنزاعات المحلية والاقليمية التي طحنت الجمهورية بلا هوادة حتى

إلى العدد المقبل